مليحة

التاريخ غير المدون

الناشر: شركة مدينة المحدودة للنشر

Medina Publishing Ltd
310 Ewell Road
Surbiton
Surrey KT6 7AL
United Kingdom
medinapublishing.com

ISBN: 978-1-909339-64-4 (English)
ISBN: 978-1-909339-65-1 (Arabic)

المحرر: وليم فيسي

محرر النسخة العربية: باسل الجبوري

منسقة التحرير: مريم حلمي

مستشار المشروع: شابوري آند أسوسييتس م.د.م.س

الصور: أوليفر جاكسون، كوروش سوتوده، عبدالله داوستاشي، جوليت دان

تصميم: كيتي كاراثرز

الخرائط: مارتن لوبيكويسكي، أم أل ديزاين

الطباعة والتجليد:

مطبعة الإمارت، دبي





مليحة

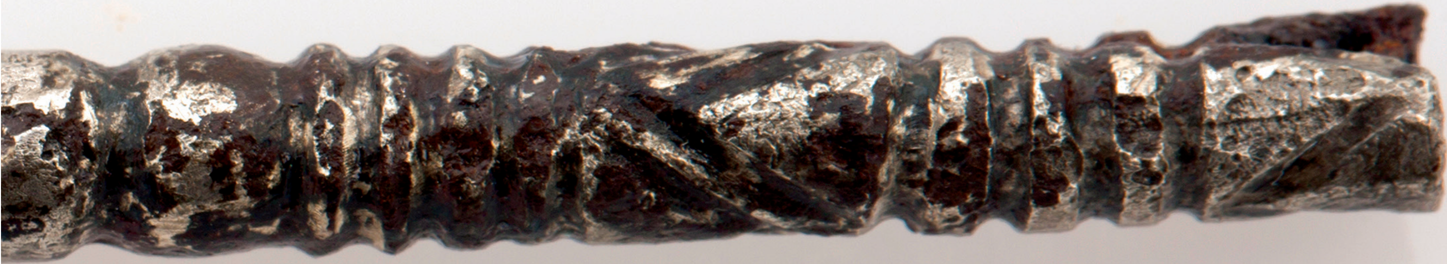
التاريخ غير المدون



صباح عبود جاسم
مارجريت إيربمان
هانس - بيتر إيربمان

Medina Publishing

المحتويات





مقدمة

تزهو إمارة الشارقة اليوم بإضافة صرح جديد من صروح الثقافة والحضارة والفنون متمثلاً بمركز الآثار في موقع مليحة القديم، ولا يخفى ما كان لهذا الموقع الأثري من دور بارز ومهم في تاريخ الحضارة البشرية وتطورها عبر العصور.

لقد دلّت نتائج عمليات التنقيب الأثري – التي تواصلت في أرجاء هذا الموقع والمنطقة المجاورة على مدى الأربعين عاماً الماضية – على أصالة وغنى وتنوع مظاهر الحضارة البشرية التي قامت وازدهرت في ربوعها عبر آلاف السنين. ولعل اكتشاف مخلفات العصور الحجرية القديمة في سفوح جبل الفاية، والتي تعود إلى 125،000 سنة مضت، ثم بقايا العصر الحجري الحديث، والعصرين البرونزي والحديدي، وحتى الفترة المتأخرة لعصر ما قبل الإسلام، خير دليل على أن الإنسان القديم كان قد أدرك فضل العيش على هذه الأرض الطيبة منذ ذلك الحين، وواصل الاستيطان فيها، واستثمار ما توفره من موارد طبيعية تسهّل له سبل البقاء وتؤّمن له الحماية والأمان. ولم يكن ذلك الإنسان جاحداً، أو مستغلاً فقط؛ بل أثبت أنه كان بمستوى التحدّي والمسؤولية في عطائه ومنجزاته الحضارية.

لقد أظهرت الدلائل الأثرية أن سكان مليحة القدماء إنتظموا في مجتمع قائم على تنوع طبقي، ونظام سياسي معيّن كان للحاكم أو الشيخ فيه دور قيادي بارز ومهم. واستطاعت الأسرة الحاكمة ترسيخ وتطوير المنطقة، حتى غدت مليحة محطةً للقوافل التجارية المتنقلة بين مراكز الحضارة العالمية آنذاك، مثل منطقة جنوب وشمال شرق شبه الجزيرة العربية، والمناطق المجاورة في البحرين وفيلكا وبلاد الشام وجنوب وادي الرافدين وجنوب غرب إيران والجزر الإغريقية وأقاليم الامبراطورية الرومانية. وقد انعكس مردود هذا النشاط التجاري بخلق درجة واضحة من الاستقرار والرفاه الاقتصادي، تمثّل بتشييد القصور الواسعة، والحصون الكبيرة، والمباني الإدارية، والمساكن المتميزة، والورش الصناعية، وقنوات الري المعقدة، والآبار التي كانت مصدر المياه وازدهار الزراعة في بيئة تشبه كثيراً ما هو سائد في الوقت الحاضر.

لقد تولى حاكم منطقة مليحة مسؤولية سك النقود؛ وكانت هذه تقليداً يعوزه الإتقان لمسكوكات الإسكندر الأكبر، مع استبدال اسم الإسكندر المنقوش على القفا بحروف إغريقية، بنقش آبيل بحروف آرامية. وبخلاف ما كان يعتقد سابقاً من أن آبيل هو اسم حاكم مليحة، فإن دراسةً حديثةً تميل إلى الإعتقاد بأن الإسم يشير إلى عدد من النساء، مما يعني أن عدداً من الملكات كن قد حكمن مليحة والمناطق المجاورة خلال تلك الفترة. ومع أنه ليس من المألوف أن نجد أنثى أو ملكة تحكم في منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، إلا أن هناك إشارات تاريخية وردت في النصوص الآشورية في بلاد مابين النهرين، تحدثت عن ملكات ذوات بأس شديد، حكمن في شمال شبه الجزيرة العربية.

إهتم سكان مليحة القدماء بالعقائد الدينية، وتدبروا لحياة ما بعد الموت، فقاموا من أجل ذلك بتشييد القبور التذكارية الضخمة ذات المدافن المحفورة تحت سطح الأرض، تنتصب فوقها أبراج من الطوب الكلسي، ومتوّجة بشرفات مدرّجة. وهذا طراز تنفرد به مليحة لم يكن معروفاً سابقاً في أرض الإمارات، وله ما يماثله في قرية الفاو وتدمر والبتراء.

كما أن وجود العديد من قبور الجمال، يرتبط بعقائد دينية كانت سائدةً في عصور ما قبل الإسلام. وتمتعت الخيول بمنزلة خاصة، إذ كانت رمزاً للجاه والثراء في مجتمع مليحة. وقد تجلت أهميتها الإستثنائية في ذلك القبر المهيب؛ حيث تم دفن الحصان بكامل عدته الذهبية في قبر مجاور لقبر صاحبه. كما يمكن اعتبار مصبّات الأوعية المعدنية المصنوعة على شكل حصان دليلاً آخر على مكانة وأهمية هذا الحيوان في تلك الفترة.

ويبدو أن مجتمع مليحة القديم كان يضم شريحة من المتعلمين، بدليل وجود عدد من الكتابات بالعربية الجنوبية والآرامية، يمثل أغلبها نقوشاً جنائزيةً على شكل شواهد قبور. وكانوا أيضاً على معرفة باللغة الآرامية التي كانت لغة الثقافة والمراسلات آنذاك كما تشير إلى ذلك الألواح البرونزية والفضية التي دوّنوا عليها نصوصاً دينيةً أو علامات فلكيةً أو فوق الألواح الحجرية الجنائزية.

ومن الإنجازات الحضارية المهمة التي ساهم سكان مليحة في تحقيقها، هو تعدين وتصفية خامات الحديد المتوفرة في الجبال المجاورة، واستعماله لأول مرة على نطاق واسع خلال الفترة ما قبل الاسلامية، حيث عزّزوا ترسانتهم الحربية بابتكار السيوف الطويلة، ورؤوس السهام المصنوعة من الحديد.

لقد خلّف لنا سكّان مليحة القدماء،سواء في قبورهم أو ممتلكاتهم الأخرى، ذخيرةً كبيرةً ومتنوعةً من هدايا الدفن واللقى الأخرى، المتمثلة بالأواني الفخارية والمعدنية والحجرية والزجاجية ومواد الزينة والدمى الطينية والتماثيل ذات المنشأ المحلي والمستوردة والمكتشفات الأخرى والتي تحمل بين ثناياها قصة شعب عانى وصبر وتحدى ظروف البيئة القاسية، وعاش وأبدع في ابتكار منجزات لافتة تشكل علامات مضيئة في تاريخ الحضارة الانسانية، ونفتخر اليوم بعرض نماذج مختارة منها في أروقة هذا المبنى الجديد.

وختاما نود أن نرفع أسمى آيات الإمتنان والعرفان وخالص الشكر والتقدير، لحضرة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم إمارة الشارقة حفظه الله، ووفقه لكل خير، والذي تكرّم برد الجميل لأهالي مليحة القدماء وأحيى ذكراهم بتشييد هذا المركز الحضاري المتميز؛ ليكون قبلة للزوار والباحثين والمهتمين من جميع الأطياف، ويتيح لهم فرصة الإطلاع على معالم حضارة إنسانية، قامت وازدهرت، ثم بادت واختفت تحت الرمال.

صباح عبود جاسم

الشارقة في 18 يونيو/حزيران 2015م الموافق غرة رمضان 1436 هجرية.

مدخل

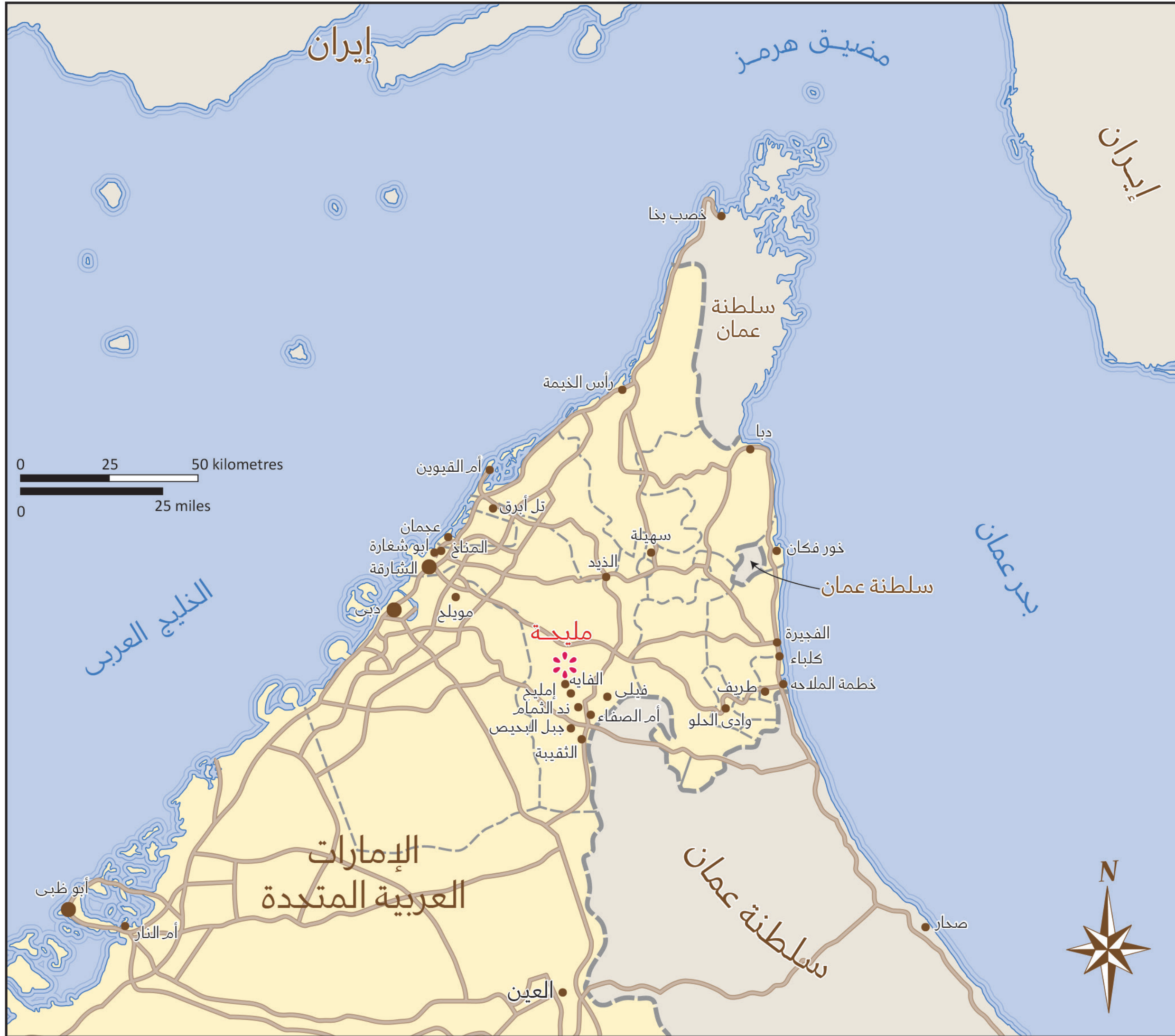




منظر جوّي يبيّن أسس جدران
القصر في مليحة بعد التنقيب
.MLH-08

السمات الخاصة لمنطقة مليحة

حققت المنطقة المحيطة بمدينة مليحة، الواقعة في المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة، خلال الأربعين سنة الماضية دوراً في غاية الأهمية بالنسبة لعلم الآثار والفترة التاريخية المبكرة، للمنطقة المحلية، ولمنطقة شبه الجزيرة العربية بشكل عام، وبالأخص فيما يتعلق بعموم المجتمع البشري في العالم. ويستند هذا المظهر الأخير على المكتشفات الأثرية في موقع جبل الفاية (FAY-NE-01)، والذي وفر لنا دليلاً يشير إلى أن «أجناساً بشرية حديثة من الناحية التشريحية» كانت تتواجد في منطقة مليحة قبل نحو 120،000 إلى 130،000 سنة مضت، خلال انتشارهم من مركز نشوئهم الأفريقي إلى بقية أنحاء العالم. إن الموقع الجغرافي لمنطقة جنوب شبه الجزيرة العربية، بين شرق



0 25 50 75 100 125 kilometres

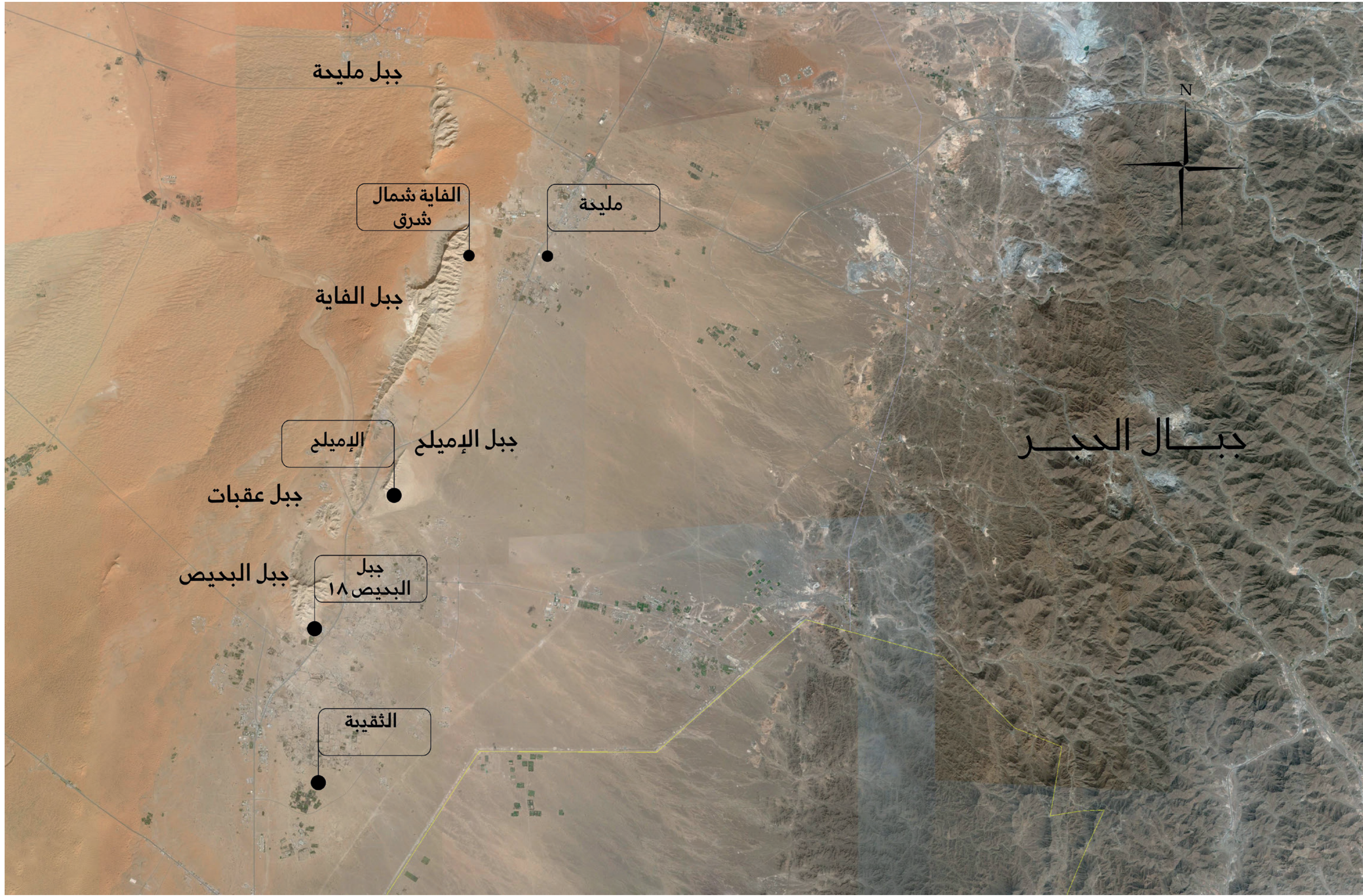
0 25 50 75 miles

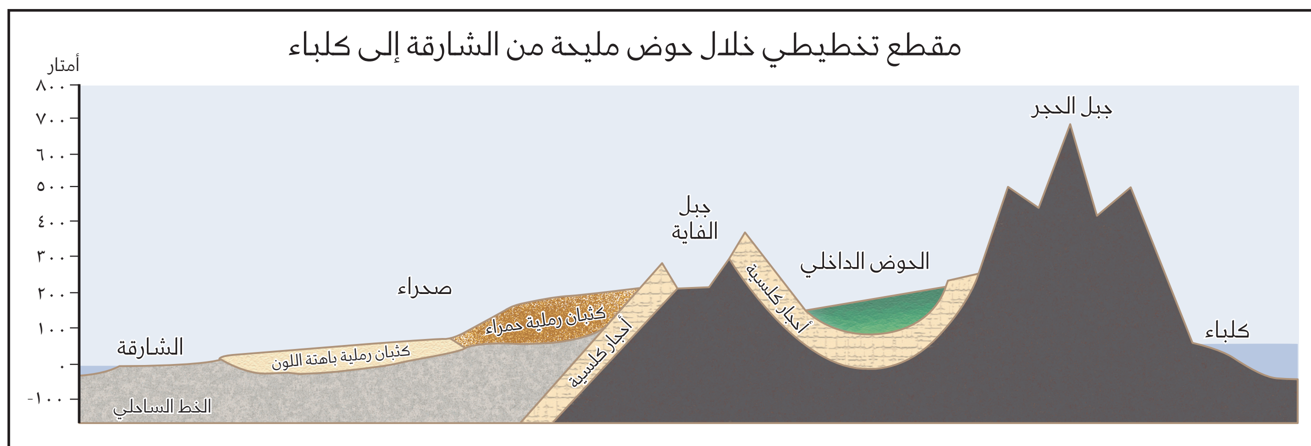
خريطة تُبيّن موقع الحوض الداخلي في وسط الإمارات الشمالية.

أفريقيا وجنوب غرب آسيا يجعل منها جسراً طبيعياً يربط بين القارتين. إن الفترة الزمنية المحددة التي وصل فيها بنو البشر إلى هذه المنطقة قد اعتمدت على تغيرات مناخية على النطاق العالمي. ومع ذلك فإن الحقيقة المتمثلة في أنهم تركوا دليلاً على وجودهم في منطقة مليحة لا بد وأن يعزى إلى توفر ظروف محلية مواتية جعلت هؤلاء الناس يمكثون هناك على مدى فترة زمنية، تكفي كي يتركوا وراءهم مواد أثرية معينة، تتيح لعلماء الآثار تتبع أصلها الأفريقي.

إن السمة المميزة لمنطقة مليحة هي المكتشفات الأثرية التي تغطي فترة زمنية تمتد من نحو مليوني عام مضت، إلى الفترة السابقة لظهور الإسلام. ويعكس ذلك – إلى حد ما – كثافة الأبحاث الأثرية في مليحة، حيث أصبحت مركزاً لهذه الأبحاث منذ سبعينات القرن الماضي. إن التواجد المستمر تقريباً للفرق الأثرية، ابتداءً من عمل فريق التنقيب العراقي في مدينة مليحة التي يرجع تاريخها إلى فترة ما قبل الإسلام، قد أدى إلى اكتشاف عدد كبير من المواقع الأثرية في المنطقة الواقعة حول مليحة. وبمعزل عن هذه الفعاليات الدولية، قامت إدارة الآثار بالشارقة بأعمال المراقبة والإشراف والقيام بعمليات تنقيب أثرية في مواقع مختلفة، إضافة إلى أعمال الترميم والصيانة الأثرية.

خريطة تُبيّن الحوض الداخلي مع المواقع الأثرية.





مقطع تخطيطي غرب-شرق خلال الحوض الداخلي من الشارقة إلي كلباء.

قائمة بالفرق الأثرية الأجنبية العاملة في منطقة مليحة منذ العام 1973

البعثة العراقية	1973 – (توقفت اعمالها منذ ذلك الحين)
البعثة الفرنسية	1984 – 2011 (توقفت أعمالها منذ ذلك الحين)
البعثة الأسترالية	1994 – 1995 في جبل الإميلح (توقفت أعمالها منذ ذلك الحين)
البعثة الإسبانية	1994 – الوقت الحاضر في موقع الثقيبة
البعثة الألمانية	1995 – الوقت الحاضر في مواقع مليحة، البحيص، جبل فاية

ومع ذلك فان البحث الأثري المكثف في منطقة مليحة ليس هو السبب الوحيد وراء غنى المكتشفات الأثرية في هذا الجزء من إمارة الشارقة. لا يمكن أن يكون هناك شك بأن البيئة المعينة لهذه المنطقة قد ساهمت أيضاً بقدر كبير في التنوع الرائع والغنى الذي تتميز به مكتشفاتها الأثرية.

ويسمى المشهد الطبيعي حول مليحة «الحوض الداخلي» للإمارات الشمالية. لقد تشكل هذا الحوض كغور عميق خلال مرحلة ارتفاع سلسلة جبال الحجر، التي تشكل حافة الحوض الشرقية. وتشكلت حافته الغربية بواسطة طية أصغر للقاع الصخري الأفيوليثي المغطى جزئياً في هذه المنطقة بأحجار كلسية، ذات أصل بحري، كما يُستدل على ذلك من وجود العديد من متحجرات الأصداف، وقنافذ البحر وغيرها. إن هذا التشكيل غير الظاهر على السطح يُغطي أيضاً الحوض الأفيوليثتي العميق الممتد تحت سهل مليحة. وهو يشكل على – ما يبدو – طبقة صخرية تتسرب المياه داخل شقوقها، من جبال الحجر إلى سلسلة الجبال السفلى، الممتدة على الحافة الغربية للحوض الداخلي؛ حيث تجلب الينابيع المياه الجوفية إلى السطح مرة أخرى. وهذه الجبال من الشمال إلى الجنوب هي: جبل مليحة، وجبل الفاية، وجبل الإميلح، وجبل عقبات، وجبل البحيص. الحوض الكائن بين سلسلة الجبال المنخفضة هذه، وبين الحافة الغربية لسلسلة جبال الحجر ممتلئ بالحصى المتراكم نتيجة فترة جيولوجية طويلة من عمليات التآكل على طول المنحدرات الغربية لجبال الحجر. وقد إنتقلت إلى حوض مليحة بواسطة فيضانات الأمطار، والجداول والأنهار، عبر ملايين السنين. وتعتبر هذه



خريطة تُبيّن الوديان الرئيسة وتشكيل البحيرة المحتمل في منطقة مليحة.

الطبقات الحصوية من الطبقات الحجرية المائية الأكثر أهمية على امتداد الحوض الداخلي.

وبهذه الطريقة يستجمع الحوض الداخلي في جزئه الواقع تحت سطح الأرض – ليس مياه الأمطار

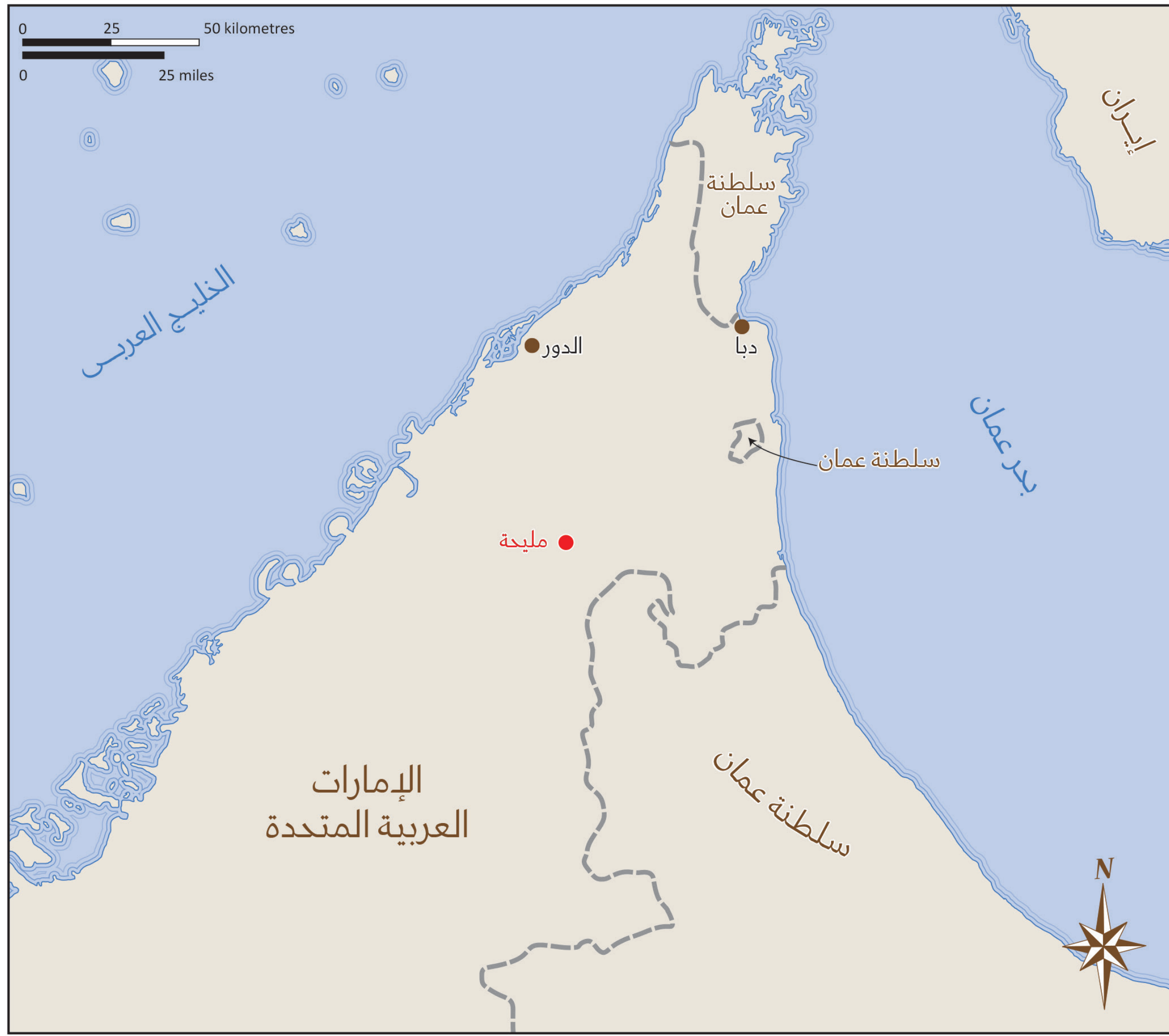


عُقيدات صوانية في موضعها الأصلي متأصلة بالطبقات الصخرية. ويمكن رؤية أنقاض أحجار صوانية ذات أشكال خشنة على الأرض في أسفل يسار الصورة.

المحلية فقط – ولكن أيضاً كميات أكبر من المياه القادمة من المنحدرات الغربية لجبال الحجر المجاورة. وفي بعض الأحيان تكون كمية الأمطار المتساقطة في الجبال كبيرة بما يكفي لملء الوديان عبر سهل مليحة من الشرق إلى الغرب. وفي مليحة نفسها، وعلى طول الجبال الممتدة إلى الغرب فربما تتسبب هذه الفيضانات في تكوين برك، أو حتى بحيرات مؤقتة. وهذا يحدث – على وجه الخصوص – بعد فترات طويلة من الجفاف، تخلق ظروفاً تؤدي إلى تراكم الكثبان الرملية في القنوات التي تنقل مياه الحوض الداخلي إلى جهة الشمال.

كانت وفرة المياه ولاتزال أحدى المنافع الرئيسة لمنطقة مليحة. ولابد أن يكون قد حدث نوع من أنواع الإستفادة من هذه الواحة منذ العصر البرونزي على أقل تقدير.

صفة مهمة أخرى لمنطقة مليحة، هي وفرة المواد الخام التي كانت ضرورية لسكان عصور ما قبل



خريطة الإمارات الشمالية تُظهر الطرق الطبيعية على امتداد الوديان وعبر الجِبال.

التاريخ. خلال العصر الحجري كانت المادة الخام الرئيسية هي حجر الصوان الذي استخدم لإنتاج أدوات وأسلحة. يتواجد الصوان بكميات كبيرة في طبقات الحجر الكلسي، في الجبال الممتدة على طول الجهة الغربية من الحوض الداخلي. وقد تم العثور على بقايا طرق، وتشذيب صوان في العديد من المواقع، على الجوانب الشرقية للجبل كما وُجدت أيضاً على بعض الهضاب المسطحة الأكثر ارتفاعاً. وتدل هذه على أن أطناناً من هذه المواد الخام كان قد تم استخراجها من الطبقات الصخرية، وقد تم تشكيلها بصورة خشنة، على هيئة قطع لغرض إنتاج الأدوات، وحملها إلى المواقع التي يسكنها الناس آنذاك. ومن الواضح أن مواقع العصر الحجري المحلية بالإضافة إلى مثل هذه المواقع على طول الساحل الغربي للإمارات الشمالية، كانت قد حصلت على معظم ما تحتاجه من مواد حجر الصوان الخام من الجبال في منطقة مليحة.

توجد أنواع أخرى من حجر الصوان على الجانب الشرقي من الحوض الداخلي- بعضها على هيئة

أحجار شبه كريمة، مثل العقيق والكوارتز الشفاف. زودت جبال الحجر أيضاً بالمواد الخام التي كانت مهمة بالنسبة للسكان الأوائل في منطقة مليحة وخارجها. ولابد من ذكر مادة مهمة وهي «الحجر الناعم» الذي كان يستخدم خلال العصر الحجري لصناعة الخرز، و مواد الزينة الشخصية الأخرى. وفي فترات لاحقة كان الحجر الناعم- وغالبا ما يسمى الستيتايت- يستخدم لنحت الأواني الحجرية والتماثيل. بيد أن الأهم من ذلك هو وجود خامات النحاس في جبال الحجر، والتي كان يتم استخراجها وصهرها منذ أوائل العصر البرونزي وحتى العصر الإسلامي. وربما كانت مليحة محطة نقل للنحاس خلال العصر البرونزي والعصور التي تلته.

توجد خامات الحديد في طبقات الصخور الجيرية في جبل الفاية بالقرب من مدينة مليحة. وهناك دلائل تشير إلى أن عقيدات صغيرة من الخام كانت تُجمع وتُفصل من طبقات الصخور الجيرية. ثم أصبحت صناعة الحديد شائعة منذ الفترة المبكرة لما قبل الإسلام فصاعدا.

وأخيراً لابد من التأكيد على أن مليحة كانت تقع في مركز المنطقة الجغرافية التي تشكل الآن «الإمارات الشمالية». وهي اليوم على مفترق الطرق الرئيسية التي تربط الشارقة في جهة الغرب، وكلباء والفجيرة إلى الشرق. وعلى المحور شمال - جنوب يربط الطريق المار عبر مليحة، بين رأس الخيمة ومدينة العين. وبينما كان الطريق شمال - جنوب قائماً بالفعل في العصور القديمة، فإن الطريق غرب - شرق يمر عبر الحوض الداخلي في أقصى الجنوب. ويتبع من الساحل الغربي مسار وادي الودية، من الشارقة إلى جبل البحيص ومن هناك نحو حتا، ويتجه بعيداً إلى صحار. وهناك طريق آخر من الحوض الداخلي نحو الساحل الشمالي في أم القيوين- ليس بعيداً عن مدينة الدور الأثرية. وكان لمليحة في أواخر عهدها علاقات وثيقة مع الدور.

كما وفر الحوض الداخلي ظروفاً مواتية للموارد المعيشية من نباتات وحيوانات. ويتعلق هذا في الوقت

الحاضر بصورة أساسية بتراث الواحة القائم على النخيل، ونمو الخضروات، وبعض الحبوب تحتها. وفي خارج المناطق المزروعة يوجد هناك العديد من أشجار الينبوت والأقاقيا وهي سمة مميزة في السهول المفتوحة في الحوض الداخلي. وبالنسبة للمجاميع السكانية في الماضي والحاضر فإنها كانت تستعمل للحطب وخشب البناء والمواد الخام التي يمكن استعمالها في المصنوعات الخشبية. وهي اليوم مصدر العلف الرئيس للعديد من الجمال، التي يمكن مشاهدتها في كل مكان في منطقة مليحة. تتغذى الأغنام والماعز وبعض الأبقار على النباتات التي تتوفر بكثرة بعد تساقط الأمطار أحياناً.

وخلال فترات الجفاف، فإن هذه الحيوانات غالباً ما تجد مراعي خضراء في الوديان الداخلية بالسهل من جبال الحجر. وقد رافقت الحيوانات الأليفة سكان الحوض الداخلي منذ العصر الحجري الحديث، والبعض منها خلال الـ 8000 سنة الماضية على الأقل.

شملت الحيوانات البرية التي كانت مصدر اللحوم الوحيد لسكان الحوض الداخلي خلال فترة العصر الحجري، الجمال البرية والماشية البرية والماعز البري والحمر البرية. ويبدو أن الغزلان وظباء المها، والتي لاتزال تمثل الحيوانات الرئيسة في شبه الجزيرة العربية في الوقت الحاضر كانت وفيرة في منطقة الحوض الداخلي، خلال عصور ما قبل التاريخ. ومع أنه لم يكن جنة، فإن الحوض الداخلي كان يبدو واحة وفيرة للسكان في عصور ما قبل التاريخ، وبداية العصر التاريخي.

وكنتيجة للمزايا الطبيعية لمنطقة مليحة، وكثافة البحوث الأثرية، بما في ذلك نتائج التحليلات العلمية، فقد تم اكتشاف دليل يشير إلى وجود جميع فترات ما قبل التاريخ، والتي كان قد تم العثور عليها حتى الآن في منطقة شرق الجزيرة العربية، على الرغم من أنها لا تتركز في مثل هذه المنطقة الصغيرة.



فترة العصر الحجري القديم

2,000,000 قبل الحاضر – 8000 قبل الميلاد

يعد العصر الحجري القديم الفترة الأطول في التاريخ البشري. وقد بدأ في أفريقيا مع أول أدوات حجرية صنعها الإنسان الأول قبل أكثر من مليوني عام. وانتهت مع نهاية العصر الجليدي قبل 12,000 عام.

يتمثل العصر الحجري القديم في منطقة مليحة ببعض الأدوات الحجرية القديمة جداً، التي يتم العثور عليها عند سطح الأرض. وبناء على ذلك فإنه لا يمكن تحديد زمنها من خلال التعاقب الطبقي، ولكن يمكن تخمينه فقط عن طريق المقارنة النمطية مع مكتشفات أخرى تم تحديد زمنها في مناطق أخرى. ووفقا لهذه الطريقة، فإن أقدم الأدوات قد يقدر عمرها بمليوني عام. ومن

المأوى الصخري في جبل الفاية، *FAY-NE-01*، حيث تم العثور على دليل مُكثّف على تواجد سكّان العصر الحجري القديم في منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية.

